طريف بن زرعة بن مدرك ـ في حملة استكشافية قبل ذلك بوقت قصير. وعبَر طارق المضيق في رجب من عام٩٢هـ/ يونيو ٧١١م، ونزل في الجبل الذي سُمِّي باسمه، على رأس المضيق الذي يفصل بين بحر الروم (البحر المتوسط) وبحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، وقال قولته الشهيرة:

«أيها الناس، أين المفرّ؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر».

وعرف لذريق أو (الأدرينوق) بخبر وصول الجيش المسلم فأعدّ جيشاً كثيفاً قوامه ١٠٠٠٠٠ جندي كانوا من العبيد والمستضعفين، بل كان من بينهم أعداء كثيرون للذريق، وطلب طارق المدد من موسى بن نصير، فأرسل له ٥٠٠٠ جندي، وتقابل الجيشان في شريش أو (وادي لكة)، وهو سهل واسع جرت فيه سلسلة من المعارك بين جيش طارق وبين الجيش القوطي، واستمرت المعارك مدة أسبوع أو أسبوعين تحطمت فيها قوة الجيش القوطي، وتشتت ذلك الجيش، ولم يعثر للذريق على أثر.

واتجه طارق بن زياد بعد المعركة بجيشه نحو طليطلة عاصمة القوط، فدخلها وفتح أمامه الأندلس.

* * *

طليطلة «٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م»:

طليطلة مدينة في قلب شبه جزيرة إيبريا واسمها بالإسبانية توليدو، وتقع طليطلة على نهر تاجه.

وقد كانت طليطلة ولاية إسلامية، وكان عليها سليمان بن عبد الرحمن الداخل منذ عهد أبيه مؤسس الدولة الأموية بالأندلس.

وفي عصر ملوك الطوائف حين تمزقت الدولة الإسلامية بالأندلس إلى إمارات صغيرة كان ألفونسو السادس قد نجح في أن يوحد تحت إمرته إمارات استورياس، وليون (في أقصى شمال شبه الجزيرة)، وقشتالة فيما عرف بمملكة قشتالة وليون التي كانت تضم جليقية أيضاً.

وكان ألفونسو السادس يستولي على الحصون الإسلامية واحداً إثر آخر، وقد وثب ألفونسو على طليطلة عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، فأحدث بذلك فزعاً كبيراً في صفوف المسلمين، ودخلت طليطلة بذلك ضمن مملكة قشتالة وليون.

وكان من نتائج سقوط طليطلة أن تنبه المسلمون إلى أهمية الاستنجاد بالمرابطين في المغرب لإنقاذ إسبانيا من الزحف المسيحي.

* * *

العقاب «٦٠٩/١٢١٢م»:

كان ألفونسو الثاني ملك قشتالة منذ هزيمته في موقعة الإرك عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م قد ملكه الخوف، فاستعان بالبابوية، وأخذ يتأهب للأخذ بثأره، وتمكن من ذلك فجمع حشوداً عظيمة، وسار للقاء الموحدين.

وجمع محمد الناصر الموحدي أقصى ما استطاع جمعه من الجنود والعُدَّة، وسار للقاء ألفونسو. وكان في جيش الموحدين مَن لم يتعودوا الحربَ الضارية بين المسلمين والنصارى في الأندلس.